مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(2): 243–265
DOI: 10.31456/beytulmakdis.481640

الوقف المملوكي في بيت المقدس

آلاء حسام الدين المناصرة*

ملخص: تتناول هذه الدراسة البحث في الوقف المملوكي في بيت المقدس، حيث يعتبر الوقف المملوكي في بيت المقدس من أهم الفترات التي تم الوقف فيها، إذ عملت على استمرار منظومة المؤسسات المتكاملة في مختلف الميادين الحيوية للمجتمع من تعبدية وتعليمية وجهادية وصحية واجتماعية وغيرها، وتأمين كل ما يلزم لدعم هذه المؤسسات في الدولة، لنهوض بالمجتمع ورعاية أفراده وتوفير الخدمات المتنوعة. وقد تعددت الدراسات في موضوع الأوقاف المملوكية في بيت المقدس، لكن قليل منها من تفرد بدراسة متخصصة في موضوع الوقف المملوكي ودورها في مجالات الحياة، ودراسة الوقف لنساء المملوكيات، والدور الذي لعبته هذه الأوقاف في الجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة بعد ما استجدّ ونشر من مصادر ووثائق خاصة في فلسطين بالعصر المملوكي كوثائق المسجد الأقصى (الحرم القدسي الشريف)، ودفاتر وسجلات الطابو العثمانية، وسجلات المحكمة الشرعية. ففي العصر المملوكي في بيت المقدس اختار كثير من السلاطين والأمراء والتجار وغيرهم المشاركة بجزء من ثرواتهم للنهوض بالمجتمع، فأقاموا المؤسسات المتنوعة وحبسوا عليها الأوقاف وارتبط كل وقف بحجة شرعية توضح أركانه والغرض منه وحجمه وكيفية الاستفادة من ريعه، ونوعية المستفيدين وعدد الموظفين والخدم والقائمين على رعاية شؤون المؤسسة، وغير ذلك من الجوانب التي توضح الإطار العام لنظام الوقف. كما استفاد المماليك من نظام الوقف في البلاد التي حكموها وخاصة بيت المقدس، لتدعيم حكمهم والجهاد ضد المغول والفرنجة، كما قام الظاهر بيبرس بوضع نظام جديد للأوقاف اختلف بمقتضاه ولأول مرة مدلول لفظ الأحباس عن مدلول لفظ الأوقاف في مصطلح الدواوين، وتطور نظام الوقف لثلاثة دواوين وهي: الأول ديوان لأوقاف الأهلية، والثاني لأوقاف المساجد، والثالث لأوقاف الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى. جاءت هذه الدراسة لتوضح بأسلوب التحليل ودراسة السجلات والحجج من السجلات والطابو العثماني وسجلات المحكمة الشرعية للوقف المملوكي في بيت المقدس، متركزة في جانبين للوقف في هذه الفترة: **الجانب الثقافي:** لوقف زوايا العلم، وانشاء المدارس، ومكاتب العلم، وخزانات الكتب في المساجد والمدارس. و**وقف النساء المملوكيات في بيت المقدس:** كوقف الست طنشق، وأغول خاتون.

الكلمات المفتاحية: الاوقاف المملوكية، بيت المقدس، أوقاف النساء، الزوايا، المدارس.

Mamluk Waqf in Bayt al-Maqdis

ABSTRACT: *Bayt al-Maqdis enjoys prestigious standing due to its special religious, cultural and historical status. Islamicjerusalem in general -and the holy city in particular- have received much interest in relation to the Awqaf ever since Caliph Umar ibn Al-Khattab brought the region under Muslim rule, with this interest being made obvious during the reign of the Mamluks in Palestine. This study sheds light*

* الخليل/ فلسطين، alah.2212.60@gmail.com

on the Mamluks' Waqf activity in Bayt al-Maqdis. It was during the reign of the Mamluks that there emerged one of the most important periods in the endowment of Awqaf: Waqf became related to all accepts of life for the community, including religious, educational, jihad, health and social aspects. Not only that but it supported governmental institutions in bringing prosperity to the community and providing various services to them. There have been many studies on the subject of Mamluk endowments or Awqaf in Bayt al-Maqdis, but few of these studies looked into the role of these endowments in people's lives nor at the endowments made by Mamluk women or the roles played by these Awqaf in the cultural, religious, social and economic aspects. Yet this is particularly important especially considering the number of primary sources and documentations that have been revealed regarding Palestine in the Mamluk era, including those from the Al-Aqsa Mosque (al-Haram al-Sharif) archive, the records of the Ottoman land register, and the records of the Sharia Court. In the Mamluk era in Jerusalem, many Sultans, princes, merchants, and others chose to share a part of their wealth to progress society. They established various institutions and endowed a number of Awqaf. Each Waqf had its own title deed, demonstrating some of the aspects that comprised the general framework of the Waqf system. The Mamluks also benefited from the Waqf system in the countries they ruled, especially Bayt al-Maqdis, as a means of strengthening their rule and supporting their Jihad against the Mongols and the Crusaders. Sultan al–Zahir Baybars developed a new system for Awqaf different from Ahbas within the Dawawin (bureau). The Awqaf was thus divided into three bureaus: the first was for civil endowments; the second for mosques; and the third for the Awqaf of the two Harams and other forms of charity. This study illustrates analyses the archival records and deeds from the Ottoman Land register (Tabu) and the records of the Shari'ah Court of the Mamluk Waqf in Bayt al-Maqdis. The study concentrates on two main aspects of the Waqf in this period: the cultural aspect of Awqaf for Zawiyahs of knowledge, establishment of schools, libraries, and bookcases in mosques and colleges; and the other aspect concerning Mamluk women Awqaf in Bayt al-Maqdis, including the Waqfs of Lady Tunshuq and Ughul Khatun.

KEYWORDS: *Mamluk Waqf, Bayt al-Maqdis, Women Awqaf, Zawiyah, Madrasah.*

مقدّمة

اهتم الإسلام بنظام الوقف لأهميته في الحياة العامة، وتطور الوقف عبر العصور الإسلامية، وكان للعصر المملوكي تطور على المستويين الرسمي والشعبي حيث أصبح مصدراً مهماً من مصادر الإنفاق في وجوه الخير، فتسابق الأمراء والسلاطين المملوكين إلى الوقف، وكذلك الأعيان ورجال الدين والنساء، فكثرت الأوقاف على مختلف الأغراض الحياتية التي تعود بالنفع على الأفراد والمجتمع الإسلامي، كما اهتموا في المؤسسات المتنوعة وخاصة الجانب الثقافي العلمي كالمدارس لتعليم الصغار والكبار، والمكتبات لتأديب وتعليم الأيتام، والزوايا والربط لتعليم الصوفيين، وغيرها من المؤسسات، كالمؤسسات الطبية لعلاج المرضى وحفر الآبار والبرك لتوفير المياه، فأصبحت الأوقاف المملوكية الدعامة الكبرى للخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدينية، واهتم المماليك في وقفهم اهتماماً كبيراً في بيت المقدس لأهميتها ومكانتها عند المسلمين، فكان

لها نصيب وفير من الوقف المملوكي والأعمال الخيرية والمؤسسات العلمية والدينية وغيرها. وثمة دراسات متعددة تناولت موضوع الأوقاف، ولكنها في مجملها قد سارت في اتجاه من اتجاهين أساسين: الأول: هو الاتجاه الفقهي "القانوني"، إذ توجد مؤلفات عديدة عالجت نظام الوقف من حيث أحكامه الفقهية وقواعده القانونية، والاتجاه الثاني: هو الاتجاه "التأريخي الوثائقي"، وهي في معظمها عبارة عن رسائل جامعية. وهذا البحث يمكن أن يعتبر الأول، الذي يتناول في تخصص شديد، ناحية محددة –وهي الناحية الثقافية – وناحية وقف النساء المملوكيات في بيت المقدس؛ إذ كانت مادة هذه الدراسة متناثرة في الدراسات العامة، حيث تمت كتابة هذه الدراسة بشكل متخصص أكثر، مما يعطي هذا البحث أهمية مميزة في هذه الفترة من مسيرة الوقف عبر مراحل التاريخ الإسلامي في بيت المقدس، واعتمد هذا البحث على منهج التاريخ الوصفي، وكلي أمل أن يتناول موضوعي هذا المزيد من الباحثين والقارئين وإثرائه بأكبر قدر ممكن من المعلومات والتفاصيل.

جاءت هذه الدراسة في ثلاث أقسام، فتحدثت في **القسم الأول** عن دور الوقف المملوكي في بيت المقدس وأهميته ونظام الوقف المملوكي، وفي **القسم الثاني** تناولت الدراسة دور الوقف في الحياة الثقافية والعلمية وذكر أهم المدارس والمكاتب والربط والزوايا الموقوفة في بيت المقدس، أما **القسم الثالث** فقد تطرقت فيه لدور وقف النساء المملوكيات في بيت المقدس، وأهمية المرأة في الأوقاف وذكر أهم الواقفات في بيت المقدس. وعُني هذا البحث بتسليط الضوء على الوقف المملوكي في بيت المقدس الذي كان يهدف لخدمة أهلها وزوارها؛ كونها أداة للتعرف على الانجازات الحضارية التي تركها المماليك على أرض بيت المقدس وفلسطين في جميع نواحي الحياة. وقد برهنت الأوقاف على اهتمام المماليك بهذا الجانب في بيت المقدس لاستخدامها كأدوات للسلطة، وتثبيت الحكم في هذه المناطق، وكذلك منع عودة الافرنج إليها، كما تبين مدى اهتمام المماليك بهذا الجانب والتركيز على الجانب الديني.

ويعد العدد الكبير من المباني والمنشآت الوقفية في الفترة المملوكية الأكثر ازدهارا مقارنة مع الفترة السابقة؛ ويعود لعدة أسباب من أهمها: تعاقب عدد من السلاطين العظام على الحكم فيها، كالسلطان الظاهر بيبرس، والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون وذريته من بعده، والسلاطين المماليك الجراكسة، وقد شهدت فلسطين في فترة حكمهم الكثير من الازدهار العمراني والثقافي، وقاموا بأوقاف متنوعة كانت تهدف إلى توفير متطلبات الحياة اليومية وتحسين الأوضاع المعيشية، والتقرب إلى سكان بيت المقدس وتقديم الخدمات لهم.

اهتمام المماليك بأوقاف بيت المقدس

من أهم انجازات الحضارات العربية الإسلامية هو الوقف؛ فهي عملية إيجاد منظومة من المؤسسات المدنية المتكاملة في كافة الميادين، الحيوية للمجتمع من تعبدية، وتعليمية، وجهادية، وصحية، واجتماعية وغيرها، وتأمين مصادر الدعم السخي لها. فأهمية الوقف تنبع من قول النبي صلى الله عليه وسلم: *"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"*،[1] وعند بعض العلماء معاني الصدقة الجارية هو المال الموقوف الذي يجري الانتفاع به. فالوقف المملوكي في بيت المقدس، له دور كبير في الحياة الثقافية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، كما تظهر أهمية الأوقاف باعتبارها إحدى الدعامات الكبرى للنهوض بالمجتمع، وذلك من خلال رعاية أفراده وتوفير مختلف الخدمات التعليمية، والصحية، والاجتماعية، بحيث لم تكن هذه الرعاية مسؤولية الدولة بل كانت مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع.

بلغ الوقف المملوكي في بيت المقدس درجة كبيرة من النضج والاكتمال، إذ إن كثيرا من السلاطين والأمراء والتجار وغيرهم اختاروا المشاركة بجزء من ممتلكاتهم للنهوض بالمجتمع، فأقاموا المؤسسات المتنوعة وحبسوا عليها الأوقاف وارتبط كل وقف بحجة شرعية فيها تفاصيل الوقف وكيفية الاستفادة من ريعه. فالدولة الأيوبيية عملت على استغلال الوقف لتدعيم حكمها السياسي خاصة في محاربة التشيع، والجهاد الديني ضد الفرنجة، لذلك كانت معظم أوقافهم موجة للنفقة على المدارس، والزوايا الصوفية وفك أسرى المسلمين من أيد الفرنج. كما أن المماليك قد استفادوا من هذا النظام في دعم حكمهم وفي الجهاد ضد الفرنجة والمغول، كما قام السلطان بيبرس بوضع تنظيم جديد للأوقاف اختلف لفظ الأحباس عن لفظ الأوقاف في مصطلح الدواوين، كما أصبح للأيوبيين والمماليك ثلاثة دواوين: ديوان الأوقاف والأهلية، والثاني ديوان لأوقاف المساجد، والثالث لأوقاف الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى.[2]

تنظيم الوقف المملوكي في بيت المقدس

نُظمت الأوقاف المملوكية في بيت المقدس على ثلاث نواحي:

1. **الأحباس**: اقتصر هذا الديوان على الرزق، وهي عبارة عن أراضي زراعية يعطيها الملوك والسلاطين بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الناس،[3] وقد وقفت هذه الاحباس على المنشآت الدينية والثقافية، وأعفيت من الضرائب، وأشرف على أحباسها ناظر الأحباس،[4] وأشرف ديوان الأحباس على "الرزق الأحباسية والرزق الجيشية"،[5] ولأهمية هذا الديوان قام كثير من السلاطين بالإشراف العام عليه، وفي بعض الأوقات قام بتفويض هذا الإشراف إلى نائب السلطنة،[6] أو الداوداره[7] الكبير.[8]

2. **الأوقاف الحكمية أو الخيرية والعامة:** انتشرت في العصر المملوكي، وهي مخصصة للإنفاق على الحرمين الشريفين مكة والمدينة، وكذلك الحرمين الشريفين في القدس والخليل، ومختلف جهات البر والصدقات، وفداء الأسرى، والتي لا يدخل فيها وقف أهلي، حيث إن الوقف الخيري هو الذي يوقف في أول الأمر على جهة خيرية لمدة معينة يكون بعدها وقفاً على شخص معين أو أشخاصاً معينين، كأن يوقف أرضه على مستشفى أو مدرسة ثم من بعد ذلك يوقفها على نفسه وأولاده،[9] وقد كانت هذه الأوقاف في زمن ظاهر بيبرس تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي.[10]

3. **الأوقاف الأهلية (الذُرية):** هو الذي وقف في أول الأمر على نفس الوقف ثم على أولاده، فأحفاده، فأقاربه، ثم على جهة بر لا تنقطع كالفقراء والمساكين،[11] كالوقف على الخانقاوات، والمدارس، والترب، ويخصص دخلها لذرية مؤسس الوقف مؤسس الوقف حسب الأنصبة التي ينص عليها في وثيقة الوقف،[12] بالإضافة إلى الأوقاف التي تجمع بين الوقف الأهلي والخيري، وهذا النوع يخضع لإشراف قاضي القضاة الشافعي، إلا أنه لكل وقف منهما ناظر خاص بها حسب شروط الوقف، ويكون بأغلب الأوقات الواقف هو نفسه الناظر وعند وفاته يخلفه الأرشد فالأرشد من أولاده أو من عتقائه أو من يوصي له بذلك من الأمراء أو الشيوخ.[13]

الأسباب التي أدت الى توسع الوقف المملوكي في بيت المقدس

عند قيام دولة المماليك رافق قيامها تطورات كثيرة، خاصة في المجال السياسي ونظام الحكم، وفي المجالات الدينية والاقتصادية والثقافية، وانعكس هذا التطور على نظام الوقف، كما ساعد على انتشاره وازدهاره.[14] ويقول ابن خلدون:

> إن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم، لما له عليهم من الرق والولاء، ولما يخشى من مصاعب الملك ونكبته فاستكثروا من بناء المدارس، والزوايا، والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركاً لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها، مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير، والتماس الأجور في المقاصد، والأفعال، فكثرت الأوقاف في ذلك، وعظمت الغلات والفوائد، وكثر طلب العلم، ومعلمه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها.[15]

الأسباب التي ساعدت على أتساع الوقف المملوكي في بيت المقدس

1. **الأسباب الدينية:** كان الدافع الديني العامل الأهم التي ساعدت على ازدهار الوقف في بيت المقدس في هذا العصر، لأن المماليك أخذوا شرعية الحكم من الخلافة العباسية منذ سنة 659هـ/1261م، مما جعل لسلطنة المماليك مكانة مهمة في العالم الإسلامي، وبحكم أنهم حماة الخلافة الإسلامية.[16] كما أدى نجاح المماليك على خطر المغول والانتصار عليهم في معركة عين جالوت (658هـ/1260م)، والقضاء على

بقايا الإمارات الفرنجية بالشام بفتح عكا وتطهير بلاد الشام سنة 690هـ/1291م، شرعية كبيرة أمام المسلمين لنيل ثقتهم وكسب الشرعية لحكمهم، فساعد ذلك على تأجيج المشاعر الدينية، لذلك زاد من بناء المؤسسات الدينية بصفة عامة، والمساجد بصفة خاصة، في محاولة لتقوية الرابط الديني.[17]

2. **الأسباب السياسية:** أما الدافع الساسي فهو مربوط بالعلاقات الداخلية للدولة المملوكية بين الحاكم والمحكومين، لأن سلاطين المماليك لم يصلوا إلى الحكم بطريقة شرعية، وإنما كانوا أغراب عن البلاد، مغتصبين للحكم والعرش من أصحابها الشرعيين، فانعكس ذلك على كثير من النظم منها نظام الوقف، فكان أن اتخذ سلاطين المماليك من نظام الوقف وسيلة لتدعيم حكمهم والتودد إلى السكان بغض النظر عن مساوئهم.[18]

3. **الأسباب الاقتصادية:** انتعاش الحياة الاقتصادية في الدولة المملوكية ساعد في انتشار الوقف وازدهاره، وذلك بسبب التجارة العابرة بين المشرق والمغرب عبر البحر الأحمر، وموانئ دولة المماليك، بعد اضمحلال الطرق الأخرى للتجارة بين الشرق والغرب، بعد استيلاء المغول على بغداد سنة 656هـ/ 1258م، إضافة إلى ذلك كان من العوامل الاقتصادية التي شجعت السلاطين والأمراء وعامة الناس على الوقف أملاكهم، إعفاء هذه الأوقاف من الخراج والضرائب، وما وجد من النظم المالية في عصر سلاطين المماليك ما ساعد بطريقة غير مباشرة على زيادة الأوقاف وانتشارها، ومن ذلك ديوان "المواريث الحشرية"[19].[20]

دور الوقف في الحياة الثقافية

الوقف المملوكي في المؤسسات التعليمية (الثقافية)

ازدهرت الحياة الثقافية في فلسطين في العهد المملوكي ازدهارا كبيرا، اذ سارو على نهج الأيوبيين في محاربة التشيع فأكثروا من بناء المدارس حتى صار عددها أكثر من خمسين مدرسة في مدينة بيت المقدس وحدها،[21] خصوصا في عهد سلاطين المماليك البحرية وتحديدا في عهد ناصر محمد بن قلاوون[22] وأولاده، فقد وصلت بيت المقدس إلى أوج ازدهارها العلمي،[23] وأسهمت عوامل متعددة في ذلك منها الأمن، والاستقرار والثراء.[24]

أولاً: المدارس

المدارس في المعنى الاصطلاحي أماكن لتعليم عدد من الطلاب على أيدي أساتذة متخصصين في مواد دراسية معينة ذات مستوى معين، وهي بهذا التعريف ذات اختصاص ولها منهاج محدد، وفيها دراسة منضبطة، وفي التاريخ الإسلامي قصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التي يأوي أليها طلاب العلم، وتدر عليهم فيها الارزاق وتتولى تدريسهم وتثقيفهم فئة من المدرسين والعلماء يوسع عليهم في الرزق ويختارون بحسب شروط الواقف ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا أليه للقيام به، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الألية والبشرية.[25]

إن المتتبع للزيادة الكبيرة في عدد المدارس في فلسطين بشكل عام ومدينة بيت المقدس بشكل خاص في العصر المملوكي، يرى أنها لم تكن من أجل المبدأ الذي قامت عليه سياسة الايوبيين والمماليك في محاربة المذهب الشيعي فقط، بل يمكن القول أن هذه السياسة المتمثلة بالإكثار من بناء المدارس في عصر سلاطين المماليك، ترجع الى عدة عوامل متشابكه ومتداخلة، من بينها حرص السلاطين والأمراء على الظهور في صورة حماة العقيدة الإسلامية السنية، العاملين على نشرها، بالإضافة إلى حرصهم على الظهور بمظهر المنتصرين المشجعين للثقافة الإسلامية واللغة العربية، ولاسيما بعد انتهاء الأخطار الخارجية الكبرى التي تمثلت في الفرنج والمغول، والتي أتاحت الفرصة لسلاطين المماليك الأوائل، أن ينتزعوا من رعاياهم ومن العالم الاسلامي أجمع، اعترافا بانهم حماة الاسلام، وعندما خفت هذه الأخطار لم يجد هؤلاء المماليك وامراؤهم خاصة في عهد الجراكسة قاموا بالإكثار من أنشاء المدارس، والتقرب الى العلماء، وليقر في الأذهان بانهم حماة الاسلام.[26] اضافة الى ذلك، فإن لبيت المقدس مكانة في نفوس المسلمين خصوصا بعد تلك الغيبة الطويلة التي انتزعت فيها من احضان الدولة الاسلامية في ظل الحكم الصليبي منذ سنة 492هـ/1099م وحتى سنة 583هـ/1187م، حين أسترجعها صلاح الدين الأيوبي. كذلك كان لبيت المقدس جاذبيتها الخاصة في عيون المسلمين مثلها مثل مكة والمدينة، فلقد استقر في الوجدان الإسلامي أنها أولى القبلتين، وثاني المسجدين وأحد المساجد الثلاث التي يشد اليها الرحال، فضلا عن ارتباطها بحادثة الاسراء والمعراج.[27] وقد تسابق السلاطين والامراء والمقتدرين لإقامة المنشآت العلمية والدينية والخيرية في بيت المقدس، لتوفير متطلبات الحياة الكريمة لسكان بيت المقدس، فأقاموا عشرات الأبنية ووقفوا عليها الأوقاف الكبيرة، فأصبحت بيت المقدس في العصر المملوكي قبلة العلماء والأدباء وطلاب العلم من المغرب والمشرق.[28]

سياسة المماليك التعليمية

لم يكن من الواجبات في الدولة المملوكية النهوض بالخدمات الاجتماعية والثقافية، كما انه لم يكن من دأبها الانفاق على هذه الخدمات من بيت المال، بل انحصر دورها بصورة رئيسية ومن خلال جهاز القضاء أساساً، ثم ديوان الأحباس في الإشراف على الاوقاف ومراقبة تنفيذ شروط الوقفيات، والاهتمام بصيانه العقارات الموقوفة وتعيين الأكفاء لإدارتها تنفيذاً لشروط الواقفين وإحسان المحسنين.[29] كانت الدوافع الدينية والسياسية وراء إنشاء المؤسسات التعليمية، وبذلك لعبت الأوقاف دورا مهما في التعليم سواء في المدارس أو المكاتب، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكانتها والقيام برسالتها، وكان الريع الذي تغله المصادر الموقوفة على المدرسة شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو الضمان لاستمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع من مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة حسب شروط الواقف.[30] من هنا حرص سلاطين وأمراء المماليك على رصد الأوقاف الكثيرة على المؤسسات التعليمية للصرف عليها من

أجل استمرار العمل بصورة منظمة، مما جعل عصر سلاطين المماليك أكثر ازدهار العصور الإسلامية الكافة في مجال وفرة الأوقاف خدمة للعلم والتعليم.[31] وكانت المدارس العمود الفقري للمؤسسات التعليمية والمدارس،[32] التي كانت تزدهر بمقدار ازدهار الأوقاف الموقوفة عليها.[33]

ولم يقتصر أثر الوقف على التعليم على انها المورد المالي للمؤسسة التعليمية، بل تعدى الأمر ذلك إلى كافة جوانب العملية التعليمية، حتى إنه يمكننا القول إن وثيقة الوقف، أو كتاب الوقف كان بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية، والتي تضم الأسس التربوية لتعليم، والشروط التي يجب أن تتوافر في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية،[34] فكانت مصادر الوقف على المدارس في بيت المقدس بالعصر المملوكي منوعة، فيأتي الأنفاق عليها من خلال ريع الأوقاف التي حبست عليها، سواء كانت قرى بأكملها أو حصص منها، أو مزارع، أو قطع أراضي، أو عقارات، وانتشرت أوقاف بعضها في مناطق واسعة، ولكن اختلف الإنفاق من مؤسسة لأخرى حسب وجهات الوقف المرصودة عليها، وانعكس هذا الإنفاق على وضع المدرسة، من حيث إعمارها والترميم المستمر لها، والأنفاق على كافة الوظائف والخدمات التي تقدمها المدرسة.[35]

تعتبر الأوقاف هي العامل الأول في تثبيت أركان المدرسة والتعليم المملوكي، وذلك بما أنفقته في هذه الناحية، حتى بلغت جملة الأراضي المحبوسة على المدارس والمساجد وغيرها في عهد السلطان الناصري محمد مئة وثلاثين ألف فدان.[36] فاهتم السلاطين والملوك ورجال الأعمال بإنشاء المدارس ومعاهد العلم، فكانوا يبنون تلك الدور ويوقفون الأوقاف عليها وعلى مدرسيها وطلابها وخدامها.[37] وكانت تجري الرواتب والأرزاق للمدارس حتى يتم التفرغ بشكل كامل لتعليم والتفرغ لتحصيل العلم، لذلك كانت هذه المدارس تخرج نخبة من خيرة العلماء.[38]

وقد ذكر المقريزي في خططه، أن هناك عددا من المدارس تم إنشاؤها وتأسيسها ولكنها عجزت عن تزاول أعمالها التعليمية لعدم وجود أوقاف عليها من ريعها وعوائدها،[39] وهذا يدل على أهمية الريع الثابت الشرعي الذي تدره الأوقاف على استمرار المدارس وانتشار التعليم.[40] والتدريس في بعض هذه المدارس كان يهتم في تدريس علم أو مذهب محدد، كالتفسير أو الحديث، أو النحو، ولكن كثير من هذه المدارس كانت تتولى بالإضافة إلى ما سبق تدريس العلوم العقلية؛ كالتفسير والمنطق، أو العلوم العلمية، كالفلك، والكيمياء، والطب.[41] وقدمت المدارس تعليماً دينياً في الأساس على مستوى جامعي أي أنها بمفهوم اليوم كليات جامعية.[42] ولم تقتصر عناية المماليك في بيت المقدس على إنشاء مدارس جديدة وإنما امتدت لتشمل بالرعاية وإصلاح المدارس القديمة التي أنشأها السابقون.

أشهر مدارس الوقف في بيت المقدس

لقد كثرت المدارس الوقف في العصر المملوكي في بيت المقدس، ومن أشهرها:

1. **المدرسة الأفضلية:** تقع هذه المدرسة في المنطقة المحيطة بحائط البراق الشريف، وتعرف قديماً بحارة المغاربة، وقد أنشأها الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن ابن الملك صلاح الدين سنة 666هـ/1267م، ووأوقفها على فقهاء المالكية بالقدس الشريف، بالإضافة إلى أوقاف أخرى، أوقفها الأفضل نور الدين، أوقف أعيان المغاربة عدة أوقاف هامة في القرن السابع الهجري، وكانت هذه المدرسة تعرف قديماً باسم "القبة" وقد اهتم العلماء في هذه المدرسة بتدريس المذهب المالكي.[43]
2. **المدرسة الدوادارية:** تقع خارج المسجد الأقصى في الشمال عند باب العتم، أي "شرف الأنبياء"، وتنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير علم الدين سنجر الدوادار،[44] وقد بنها الأمير علم الدين سنة 695هـ/1295م، ووقفها في ربيع الأول سنة 696هـ/1296م، ونص كتاب الوقف أن تستقبل الخانقاه ثلاثين نفراً من الصوفية والمتصوفة عربا وعجماً، ونصت الوقفية، أن الأوقاف التي وقفها على هذا الخانقاه تشمل قرية بير نبالا[45] من القدس الشريف، وقرية حجلا بالقرب من أريحا. أما في نابلس فقد وقف عليها دارا ومصبنة ، وست وأربع طواحين في القدس، وقرية طبرس،[46] وأربع طواحين ببيسان. وتعرضت الوقفية إلى أسلوب التدريس والعمل في الخانقاه وعدد ممن يقومون بالتدريس والتلاوة.[47] وقد اشترط الواقف أن يصرف ريع هذا الوقف على ما يلي:
   - ثلاثون نفراً من الصوفية من العرب والعجم، شرط أن يكون منهم عشرون عزباً وعشرة متزوجين ومقيمين بها.
   - كل صوفي يرد إلى هذه المدرسة أو الخانقاه يكون بضيافتها لمدة عشرة أيام.
   - يخصص عشرة قراء لقراءة القرآن، وعشرة أشخاص يسمعون الحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلى مادح ينشد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالمسجد الأقصى.[48]

   واهتم علم الدين سنجر بهذه المدرسة فعين ابنه جمال الدين للنظر في شؤونها، وأشرك معه الفقيه شرف الدين قاسم الحوراني، بالاشتغال في هذه المدرسة، وتنشيط الحركة الفكرية فيها، وظل يعمل فيها إلى أن توفي في بيت المقدس سنة 755هـ/1354م.[49]
3. **المدرسة التنكزية:** تقع هذه المدرسة عند باب المسجد الأقصى المبارك المعروف بباب السلسة وتنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري، ووقفها سنة 729هـ/1328م،[50] وأنشأ مسجداً للمدرسة، وكانت هذه المدرسة من المدارس المشهورة في بيت المقدس، حيث أوقف عليها أوقاف كثيرة لتغطي وتسد جميع حاجات المدرسة ونفقاتها، وأيضاً لتوفر لطلبة العلم والملتحقين بها حاجاتهم كالمسكن والمأكل والمشرب.[51] واتخذت هذه المدرسة مركزاً للقضاة والنواب وديوانا للقضاة، كما

أنشأ تنكز خانقاه وبنى داراً جديدة، وداراً للأيتام وتحتوي وقفية المدرسة على معلومات كثيرة قيمة عن أهداف المدرسة وأقسامها العلمية وصفة العاملين بها وشروطهم.[52] ولقد كان للمدرسة أوقاف كثيرة التي أوقفها الأمير المملوكي سيف الدين تنكز نائب الشام على مدرسته سنة 730هـ في بيت المقدس، وكانت تشمل خاناً وحمامين في سوق القطانين، وعدداً من الدكاكين في سوق القطانين، ودوراً مختلفة وقرية عامرة تدعى عين قينياً تقع شمال غرب رام الله. وكان الشيخ زكريا المغربي كاتب أوقاف المدرسة التنكزية، وشهاب الدين أحمد بن تنكز ناظر وقف المدرسة.[53]

4. **المدرسة الخاتونية:** تقع هذه المدرسة غربي المسجد الأقصى إلى الشمال من باب القطانيين وجنوبي المدرسة الأرغوانية،[54] وتنسب هذه المدرسة إلى واقفتها أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية، سنة 755هـ/1354م. ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الحمل، ثم أكملت عمارتها ووقفت أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه وقفاً عليها سنة 782هـ/1380م، ودفنت فيها السيدة خاتون القازانية البغدادية.[55]
5. **المدرسة الجوالية:** تقع هذه المدرسة في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة المسجد الأقصى المبارك وتنسب هذه المدرسة إلى واقفها علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي، نائب القدس ونائب غزة وناظر الحرمين الشريفين (712هـ/1312م)، حيث تم إنشاؤها في عهد الناصر محمد بن قلاوون.[56]
6. **المدرسة الطولونية:** تقع بداخل المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي، وبين باب حطة والأسباط، وهي غربي المدرسة الفنارية، ويصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط.[57] سميت بهذا الاسم نسبة إلى منشئها شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد الطولوني الظاهري، وكان بناؤها زمن السلطان الظاهر برقوق قبل سنة 800هـ/1397م، وكتب لها كتاب وقف سنة 827هـ/1423م.[58] حيث تقول الوقفية أن الواقف *"وقف وحبس جملة المدرسة الكائنة في القدس المبارك الشهيرة بالطولونية الواقعة في صف الأنبياء من المسجد الأقصى المستغنية عن التحديد والتوصيف لشهرتها من مكانها على الفقهاء والمتفقهة المحصلين والمعلمين والمتعلمين والمشتغلين بالعلوم"*.[59] وأما الأملاك الموقوفة على هذه المدرسة فقد حددتها الوقفية بما يلي: جميع القرى الأربعة الكائنة في قضاء بلد كوتاهية[60] من ولاية كرميان المدعوة أحدها بالما أغاجي وثانيهما ابنة غازي، وثالثها سلة أو غلافي ورابعها أوره كير،[61] وأرض تعرف بمرج الدير. وعينت الوقفية *"لمن يكون مدرساً خمسة عشر درهماً كل يوم ولمن يكون جابياً أربعة دراهم كل يوم، ولمن يكون كاتباً درهمين يومياً"*، وجعل الواقف النظر على الوقف لنفسه ثم لأبنائه وأحفاده حتى ينقرضوا،[62] وقد تولى التدريس بهذه المدرسة مدرسون أكفاء، واستمرت هذه المدرسة بالقيام بدورها في الحركة الفكرية في بيت المقدس حتى أواخر العصر المملوكي.[63]

ثانياً: الخوانق

جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية معربة، ومعناها البيت، ثم أصبح المقصود بها المكان الذي فيه الصوفية وينقطعون فيه للعبادة.[64] والخانقاوات هي نوع من المعاهد الإسلامية، وهي دور عبادة وعلم وتقوم بأدوار مختلفة دينية وثقافية واجتماعية كالمدارس، ولكنها مدارس العامة ممكن نذروا أنفسهم لحياة الزهد والتقشف، وظهرت بحدود سنة 400هـ/1009م.[65] وكانت المدارس لإعطاء دروس الفقه والدين واللغة والتصوف والحديث،[66] وجرت العادة أن يعين لكل خانقاة شيخ أو أكثر، وعدد من الصوفية مثال ذلك ما تنص عليه وثيقة السلطان الغوري: *" ومن ذلك ستة آلاف درهم تصرف لرجلين من أكابر العلماء أهل الدين والورع والفقه يقررهما الناظر في وظيفتي مشيخة التصوف في الخانقاة المذكورة بالسوية خارجا عن السكن المعين لشيخ نوبة العصر، والمبلغ الذي يعين لشيخ نوبة الصبح في نظير السكن"* .[67] وفي أواخر القرن السابع للهجرة أضيف إلى عمارتها منارة ومنبر فأصبحت الخانقاوات عبارة عن مساجد تؤدي فيها الصلوات وصلاة الجمعة ورتب فيها واقفوها موظفين للقيام بالشعائر الدينية.[68] وكان يصرف من ريع الأوقاف على الصوفية المنقطعين للعبادة أو طلب العلم طبقاً لشروط الواقف. وكان يعمل في الخوانق من يقوم على توفير حاجات الطلاب من مأكل وملبس حتى يتمكنوا من التفرغ للتعليم والتعبد داخل الخانقاة.[69] وفي بيت المقدس أنشأ صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير بيت المقدس أول خانقاة عرفت بالخانقاة الصلاحية عام 583هـ وأوقف عليها قرية صور باهر،[70] وفي العصر المملوكي ازداد عدد الخوانق زيادة كبيرة، وارتبط اسم الكثير منها بأسماء كبار شخصيات الدولة من السلاطين والأمراء، ويمكن الإشارة هنا إلى عدد من هذه الخانقات وأهمها:

1. **خانقاة "سرياقوس"**: وقد أنشأ هذه الخانقاة الناصر محمد بن قلاوون سنة 725هـ/1325م، وقد وصلت هذه الخانقاه إلى أرقى وأبعد مدى في العصر المملوكي من الشمول والتنظيم، وذكر أن فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبجانبها جامع تقام فيه الجمع، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ.[71]
2. **الخانقاة الفخرية:** تنسب إلى واقفها القاضي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن فضل الله (732هـ/ 1331م)، وكان هذا القاضي معنيا بالعلم، وقد بنى عددا من المدارس في القدس ونابلس ودمشق، وتقع بجوار السور من الجهة الشرق في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى قرب باب المغاربة.[72] واشتملت هذه الخانقاه على مكان مخصص لتهجد الوفيين، ومسجد ومكان لإقامة الأذكار، وتم وقف سبع قطع أراضي بظاهر القدس وسوق وحاكورة وأحكار حجرات عليها.[73]

ثالثاً: الربط

جمع رباط، وهي في الأصل اسم للمكان الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو وحراسة ثغور الدولة الإسلامية، وقد تحولت مع الوقف إلى أماكن للمتفرغين للعبادة، فكان ينقطع فيها من يرغب للتفرغ للعبادة ويجري

عليها الواقفون الجرايات اليومية من غذاء وكساء.[74] كما أنه دار سكن لأهل طريق الله، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، فالمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد.[75] ودور الربط تقوم بدور معاهد العلم، فقد كانت مراكز للعلم، واتخذ العلماء من بعض الربط أماكن للمطالعة والكتابة والاشتغال بالعلم، ولم يكن الرباط مركزا للتصوف فحسب بل كان دارا الإعداد للجهاد.[76]

ومن أهم الربط في بيت المقدس التي تم وقفها بالعصر المملوكي:

1. **رباط علاء الدين البصير:** يقع هذا الرباط عند باب الناظر شمال الطريق المؤدية إلى المسجد الأقصى وينسب إلى واقفه الأمير علاء الدين أيدغوي بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالبصير، ناظر الحرمين الشريفين، وقد وقفه سنة 666هـ/1267م في عهد الظاهر بيبرس.[77] وقد وقف جميع داخل الباب من الأقباب والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف. ويعتبر من أقدم الأربطة في المدينة.[78]
2. **الرباط المنصوري:** يقع هذا الرباط جنوب الطريق الموصولة إلى المسجد الأقصى من باب الناظر، وسمي هذا الرباط بهذا الاسم نسبة إلى واقفها السلطان المنصور قلاوون، وقد وقفه على الفقراء سنة 681هـ/1282م، ووقف عليه أوقافاً في غزة ونابلس وصفد لزوار القدس الشريف.[79] أشرف على بنائه علاء الدين أيدغوي، وتألف الرباط من عدد من الغرف والخلوات، واستعمل خانا للمسافرين وتقديم الخدمات وتعقد حلقات التدريب والوعظ.[80]

رابعاً: الزوايا

مفرد زاوية، هي كالخانقاة والرباط من حيث الدور الوظيفي، ولكنها أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة في بيت المقدس، وتقام فيها الأذكار والصلوات الخمسة، وكانت الزوايا تطلق على ناحية من نواحي المساجد الكبرى، كما كانت تنشأ حول ضريح ولي مشهور. وارتبطت الزوايا بأسماء المشاهير من الزهاد الذين لهم طلاب من المريدين الذين يتبعونهم، وكانوا يجدون الرعاية والاهتمام من السلاطين والملوك.[81] وقامت الزوايا في بيت المقدس بدور فكري، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الدينية، كما كانت بمثابة دور سكن للصوفين والحجاج ودور ضيافة للمسافرين والمحتاجين.[82]

ومن أشهر الزوايا التي عرفت في بيت المقدس بالعصر المملوكي:

1. **الزاوية الوفائية:** تقع هذه الزاوية عند باب الناظر مقابل الزاوية المنجكية، وهي تقع عند سور المسجد الأقصى على يمين الداخل إليه من باب الناظر.[83] وتنسب هذه الزاوية الوفائية إلى تاج الدين أبي الوفاء محمد، ومن وقفها دار كانت تعلوها وتعرف بدار شهاب الدين بن الهائم.[84]
2. **زاوية المغاربة:** تقع هذه الزاوية بأعلى حارة المغاربة،[85] وسميت هذه الزاوية نسبة إلى واقفها عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي، الذي توفي في بيت المقدس ودفن فيها. وذكرت المصادر بأن الشيخ

المصمودي بنى هذه الزاوية من ماله الخاص، ووقفها على الفقراء والمساكين في سنة 703هـ/1303م. وأنشأ زاوية أخرى في الخليل. والزاوية في القدس تتكون من عشر غرف وأوقف ثلاث دور عليها وتولى مشيخة هذه الزاوية عدد من شيوخ المغاربة القادمين إلى بيت المقدس.[86]

3. **زاوية البسطامية:** تقع في حارة بني زيد وهي حارة مجاورة لحارة المشارقة، ووقف هذه الزاوية الشيخ عبد الله بن علي الأسد أبادي البسطامي. وكانت الزاوية موجودة قبل سنة 770هـ، وتوفي الواقف في بيت المقدس سنة 794هـ، ودفن في حوش البسطامية.[87]
4. **زاوية الشيخ خضر:** تقع في حارة قيطون، للشيخ أبو العباس خضر بن أبي بكر بن موسى العدوي، بناها الملك الظاهر بيبرس للشيخ خضر سنة 666هـ/1267م، أثناء زيارته للمدينة ورتب لها من مال البلد راتبا يجري على الفقراء المقيمين بها والواردين عليها.[88]

دور الوقف المملوكي في دعم المكتبات في بيت المقدس

تعد المكاتب ودور الكتب من أصرحه العلم في تاريخ المسلمين، وهي ذات رسالة في نشر العلم والفكر، فلم يقتصر دورها في كونها أماكن تحفظ فيها آلاف الكتب، بل كانت مراكزاً علمية تعقد فيها المجالس والدروس، وكان طالب العلم يقصدها من كل حدب وصوب، للأخذ من كتبها وعلمائها.[89] فكانت المكتبات نتاج الازدهار العلمي الضخم الذي شهدته الدولة الإسلامية، خصوصاً في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)، حيث كان عصر رخاء وتوسع، والمكتبات لعبت دوراً هاماً في الحياة العلمية والثقافية في بيت المقدس في هذا العصر، فكان له أكبر الآثار في إرساء قواعد النهضة الثقافية الكبرى، وازدهارها في تلك الآونة، حيث قدمت المكتبات خدمات مكتبية ممتازة، مما ساعد في زيادة العلم في ذلك العصر.[90]

وأنفق السلاطين والأمراء على المكتبات لينتشر العلم بين الناس، خصوصاً أنه لم يكن في هذا العصر طابعة، وكانت الكتب تنسخ على أيدي نساخ مختصين في هذا العمل، مما زاد من سعر الكتاب، ويصعب على طالب العلم أن يشتريه، فمن هنا قامت المكتبات.[91] كما عني المسلمون بوقف الكتب والمكتبات، لأهمية تلقي العلم ونشره، لذا فقد تنافس الواقفون في إنشاء المكتبات العامة والخاصة، وفتحها أمام طلاب العلم وخاصة في بيت المقدس، ووقفوا عليها الأوقاف الدارة للصرف عليها وتزويدها بما يحتاجونه. انتشرت المكتبات في العصر المملوكي في بيت المقدس، وأوقفت عليها الأوقاف الكثيرة الجارية لتغطية نفقاتها،[92] كما سمح بإعارة الكتب للعلماء. وتم ترتيب الكتب في حجرات خاصة حسب المواضيع،[93] ولكل مكتبة فهرس، وتنوعت المكتبات التي أنشئت في المساجد والمدارس والزوايا والأربطة والخوانق.[94] ويمكن تصنيف خزانات الكتب التي ظهرت في هذا العصر إلى صنفين:

- **خزانات عامة:** وهي الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والبيمارستانات، وكانت تعير الكتب، ولها نظام تسير عليه الإدارة والإعارة والاستنساخ.
- **خزانات خاصة:** وهي الخزانات الشخصية التي كانت في بيوت الولاة والعلماء والأدباء والأثرياء.[95]

واهتم واقفوا المكتبات بتوفير دخل مادي ثابت لصيانتها وترميم هذه المكتبات، والصرف على العاملين عليها،[96] أما الموارد المالية التي كانت تؤمن وتسد نفقات المكتبات، فمنها ما كان الأوقاف التي تنشأ من أجلها خاصة، وهذه حال أكثر المكتبات العامة، ومنها ما كان من عطايا الأمراء والأغنياء والعلماء الذين يؤسسون تلك المكتبات.[97]

وحرص المماليك على أن يلحقوا بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المدرسين والطلاب، وخاصة الفقراء، وهذا ما ذكره السلطان الغوري في وثيقته: *"وبها خلوة كبرى معدة لخزن الكتب بها جنبات خشب نقي يمنة ويسرة وصدرا مثبتا لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها في المدرسة"*.[98] وحرص الواقفون على من يتولى خازن الكتب أن يكون ذو ثقة كبيرة، أميناً يقظاً، ذكياً فطنا، وأن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عونا للطلبة والباحثين لإرشادهم إلى ما يحتاجون إليه من مراجع.[99]

وحدد الواقف نظام الاطلاع والاستعارة، لحفظ الكتب من الضياع، فمن الواقفين من حرم خروج الكتب نهائيا خارج مؤسسته، ورغم ذلك شرط الواقف، زيادة في الحرص على الكتب وخوفا عليها من الضياع أن يقوم الخازن بكتابة أسماء من يطلب منه كراسا ويؤخذ منه، ثم إذا أعاده مسح اسمه.[100]

وفي بيت المقدس، حفظت سجلات المحاكم القدس الشرعية إحصاء بتركات علماء القدس من المكتبات الموقوفة التي تشمل على موضوعات متعددة، مما يدل على اطلاع واسع لدى هؤلاء العلماء. ومن بين هذه التركات كتب عن فضائل بيت المقدس، مثل كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لابن هلال المقدسي (ت 765هـ/1363م)،[101] وكتاب باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، للشيخ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق الفزاري (ت 729هـ/ 1328م)، وغيرهم الكثير.[102] كما بقيت خزائن الكتب العلمية العامة في بيت المقدس تحتوي على ذخائر التراث العربي الإسلامي، وكان من بينها، خزائن المسجد الأقصى، وخزائن كتب المدارس، ودار كتب المسجد الأقصى.[103] وكان المسجد يضم خزانة تحتوي على العديد من الكتب الموقوفة والموهوبة، وكان لهذه الخزانة خزنة أمناء يقومون عليها.[104]

ومن مكاتب بيت المقدس في العصر المملوكي، مكتبة المدرسة الفخرية التي وقفها القاضي فخر الدين بن محمد بن فضل الله سنة 732هـ، وكانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية.[105] وكانت خزائن بيت المقدس تضم أهم المؤلفات في العلوم الإسلامية، وأولوها الاهتمام والرعاية حتى أن بعض

السلاطين اهتم فيها اهتماماً خاصاً حيث أوقفوا الوقوفات على قراءة المصاحف الموجودة فيها.[106] وفي سنة 778هـ وقفت أجزاء عديدة من المصحف الشريف على دار كتب المسجد الأقصى، والذي أوقفها علاء الدين بن قرمان.[107] ووقف الملك الأشرف قايتباي مصحفاً شريفاً كاملاً وقد وقفه لمدرسته في غزة ثم نقل إلى دار الكتب في بيت المقدس.[108] ومن النادر خلال العصر المملوكي في بيت المقدس أن يتم تأسيس مدرسة أو زاوية بوجه عام دون أن تزود بخزانة للكتب. وفي بعض المدارس والزوايا تم تصميم خاص بالخزانة، وكانت خزانة الكتب تزود بالكتب المختلفة في علوم الدين لتعين المدرسين والمعيدين وطلبة العلم، وهذا يدل على إدراك الأمراء والسلاطين للدور الكبير الذي تلعبه المكتبات، فخصصوا لها مكاناً خاصًا في مدارسهم وزواياهم.[109] وجاء في الوقف الخاص في المدرسة الأشرفية، أن في الحائط الشمالي للمدرسة ثلاث خزائن معدة للكتب، وكان يقوم على هذه الخزائن موظف خاص –أمين مكتبة– يدعى خادم الربعة الشريفة، وكان هناك وظيفة أخرى باسم خادم المصحف، ووظيفة ثالثة باسم مفرق الربعة الشريفة.[110]

وقف النساء المملوكيات في بيت المقدس

إن مشاركة النساء في تأسيس الأوقاف وإدارتها أصبحت أكثر وضوحاً وفعالية في هذا العصر، فلم يعد الوقف حكراً على الرجال، بل أصبح للنساء نصيبا وافر في هذا الجانب. ويعود ذلك لتعدد ثروات المرأة في العصر المملوكي، وحرصها على القيم الإسلامية الرفيعة، مما جعلها تسهم إسهاماً كبيرا في أوقاف بيت المقدس.[111] ساهمت النساء الثريات في إقامة المؤسسات العلمية والثقافية فيها، فأقمن ببناء ووقف عدد من المدارس وهي:

1. **المدرسة الخاتونية:** واقفتها أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية، وتاريخ وقفها 755هـ/ 1380م، ثم أكملت عمارة المدرسة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه وتاريخ وقفها 782هـ/ 1380م.[112]
2. **رباط الماردينية:** يقع بباب حطة مقابل المدرسة الكاملية، وهو بجوار التربة الأوحدية، وهذا الوقف منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وتاريخ الوقف 763هـ/1361م.[113]
3. **المدرسة البارودية:** تقع بباب الناظر بقرب التشتمرية، واقفتها الست الحاجة سفري خاتون شرف الدين أبي بكر بن محمد المعروف والدها بالبارودي، وتاريخ الوقف 768هـ/1366م.[114]
4. **المدرسة الغادرية:** تقع بداخل المسجد الأقصى واقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد أن عمرتها زوجته مصر خاتون، وتم بنائها في سلطنة الأشرف برسباي سنة 836هـ/1432م.[115]
5. **المدرسة العثمانية:** بنتها سيدة بباب المتوضأ، وأوقفتها امرأة من أكابر الروم اسمها أصفهان شاه خاتون، وبنيت سنة 840هـ/1436م.[116]

واستقبلت هذه المدارس الكثير من طلاب العلم والعلماء، وأصبحت لبيت المقدس السيادة العلمية والفكرية بما أنتجته من تراث فكري وعلماء. كما أقبلت المرأة على التعلم، وحرصت على تعلم الحديث والقرآن في سن مبكر.[117]

أهم الواقفات المملوكيات في بيت المقدس

الست طنشق: يعد قصر السيدة طنشق المظفرية، والمعروف تاريخيا "بسرايا الست طنشق" أحد معالم بيت المقدس، وحول هذه السيدة، لم تذكر كتب التاريخ الكثير عنها سوى أنها عاشت في القرن الثامن وتوفيت في العام الأخير من ذات القرن. وتُعرف أيضاً ببنت عبد الله، دون أن يعني هذا أن اسم أبيها هو عبد الله بالضرورة؛ فقد دأبت عادة المماليك بأن يطلقوا اسم "ابن عبد الله" أو "بنت عبد الله" عندما يكون الأب شخصاً لا شأن له. تعني كلمة "طنشق" باللغة التركية الثمين أو الرائع، ويبدو أن طنشق كانت زوج لأحد الأمراء من لقب بالمظفر، فنسبت إليه.[118]

حكمت أسرة المظفرين المملوكية في فارس وكرمان وكردستان في الفترة الواقعة بين العام 1313-1393م، ويبدو أن طنشق لجأت إلى مدينة بيت المقدس إثر النكبة التي ألمت بالأسرة الحاكمة على يد تيمورلنك في العام 1387م، وتفرغت للتعبد في المدينة المقدسة، فأنشأت العديد من المنشآت، من أهمها "دار الست" أو "الدار الكبرى"، قال عنها مجير الدين الحنبلي في الجزء الثاني من الأنس الجليل:

> كانت في عصر الشيخ إبراهيم القلندري الست طنشق بنت عبد الله المظفرية التي عمرت الدار الكبرى المعروفة بدار الست بالعقبة التي بالقرب من باب الناظر... توفيت بالقدس الشريف ودفنت بتربتها.[119]

أوغل خاتون: ابنة شمس الدين محمد بن سيف الدين، وكلمة خاتون هي كلمة تركية تعني السيدة، وهي من بغداد، ويشير نسبها إلى مقام عالي لعائلتها. كما لقبت بالقازانية ويقال إن هذا اللقب أُخذ لها من زوجها قازان شاه. وابنتها أصفان شاه التي أضافت لمساتها أيضا للعمارة الإسلامية في بيت المقدس من خلال عمل إضافات في بناء المدرسة التي أمرت أُمها ببنائها، والمدرسة الخاتونية كانت أوغل أمرت ببنائها ووقفها.[120] وهناك رُبْع من القرآن موجود في المتحف الإسلامي في القدس مُهدى من أوغل خاتون في 760هـ، لاستعماله في زاوية الخاتونية التي بنتها في بيت المقدس، وتشير مذكرة الوقف إلى أنّ التي أهدت الربع هي بانية لمؤسسات خيرية ودينية ومربية للأمراء والسلاطين وحاجة وابنة الأمير محمد، وهذا يدلّ على أنّ أوغل خاتون عاشت في بيت المقدس لعدة سنوات، وقامت بأوقاف فيها.[121] وقد حدّد نصّ مجير الدين بأنّ الوقفية الأصلية لأوغل خاتون كانت تتألف من مزرعة معروفة بظهر الجمل "باطن الجمل هي مزرعة قرب قرية دير جرير قضاء رام الله"، ولا يذكر مجير الدين إضافات أصفهان شاه ولكن دفتر الطابو 2-6 في سجلات المحكمة الشرعية في القدس يذكرها، وهذه الإضافات كالتالي:[122]

1. 5 قطع أراضي في قصر البكجوري في الشام معروفة بالمرعي، تدرّ دخلاً قيمته 160 قطعة نقدية.
2. بيت في حي صهيون يدرّ 80 قطعة نقدية سنوياً.
3. بيت إلى يمين باب الحديد قرب رباط السلطان.
4. دكان قرب الطاحون يدرّ 10 قطع نقدية.
5. طبقة معروفة بحوض الفتوح.
6. دكان في سوق القطانين.

خاتمة

هدفت هذه الدراسة التركيز على الوقف المملوكي في الجانب الثقافي والنسائي في بيت المقدس، باعتبارهما إحدى الدعامات الكبرى للنهوض في المجتمع الإسلامي، وذلك في ضوء ما قدمته الوثائق والمصادر والمعلومات التي وضحت وبرزت هذا الدور. وأبرز نتائج هذه الدراسة: إن الأوقاف المملوكية في بيت المقدس لعبت دور مهماً في نهوض الحياة العلمية والثقافية في بيت المقدس، فمن خلال تتبع المخطوطات الوقفية يمكن إحصاء ما مجموعه 277 وقفية أوقفت على المؤسسات التعليمية المختلفة في بيت المقدس في هذه الفترة وهذا ما يميز بيت المقدس عن باقي المدن الإسلامية، حيث أصبحت بيت المقدس بفضل المسجد الأقصى والمدارس القائمة على الوقف محط أنظار الكثير من العلماء وطلاب العلم من إنحاء الدولة الاسلامية ويمنحون السكن المجاني في بيت المقدس لتلقي العلم. فضلاً عن المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها المدرسون فيها، وفتح أبواب المدارس للفقراء، إذا اهتم الواقف بتدريسهم وأكلهم ومنامهم وكل ما يحتاجون إليه، مما زاد من انتشار العلم وكثر القراء والمتعلمون، وأصبحت بيت المقدس بسبب هذه المدارس مركزاً علمياً وتعليمياً مرموقاً، ومن أهم المدن في العالم الإسلامي.

وازدهار الحركة العلمية التي شهدها بيت المقدس في العصر المملوكي، وانتشار المدارس وإقبال العلماء وطلبة العلم فيها. وهذا في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف المملوكية وانتشارها في بيت المقدس في الفترة المملوكية عن باقي الفترات الإسلامية. وكان الدور النسوي الذي لعبته النساء المملوكيات في الأوقاف على بيت المقدس ودور المرأة في هذا العصر لا يقل عن دور الرجل، فكثير من الواقفات قدمن كل ثرواتهن وما يملكن للوقف، ومساعدة الفقراء، وبناء المدارس والزوايا.

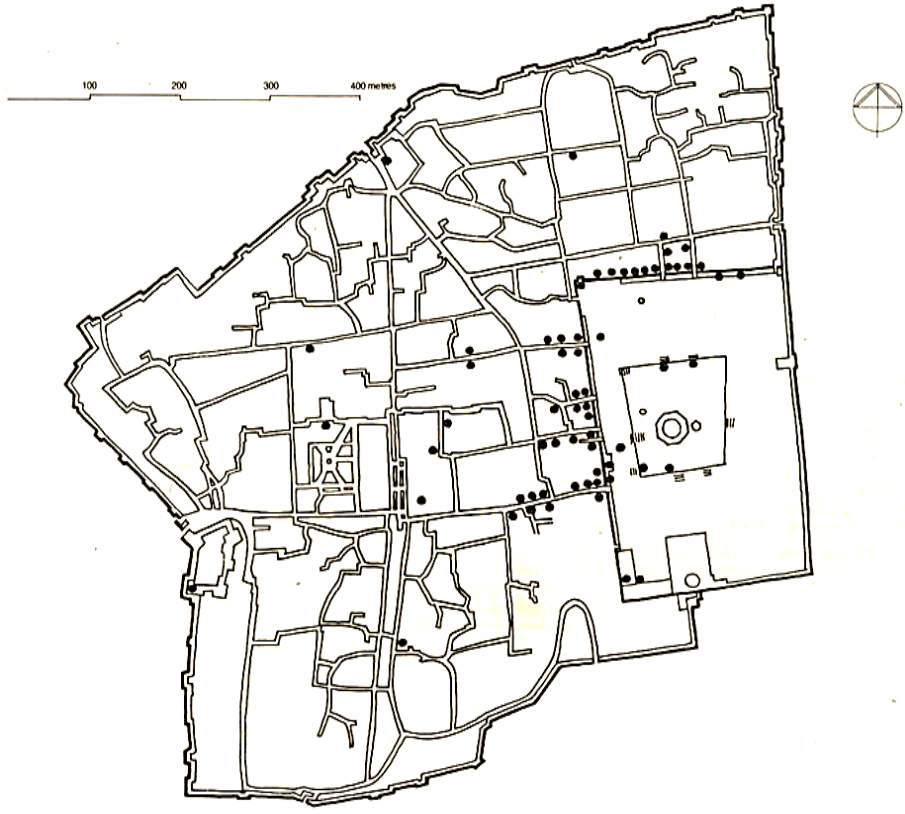

خارطة تظهر الوقف العمراني المملوكي حول المسجد الأقصى[123]

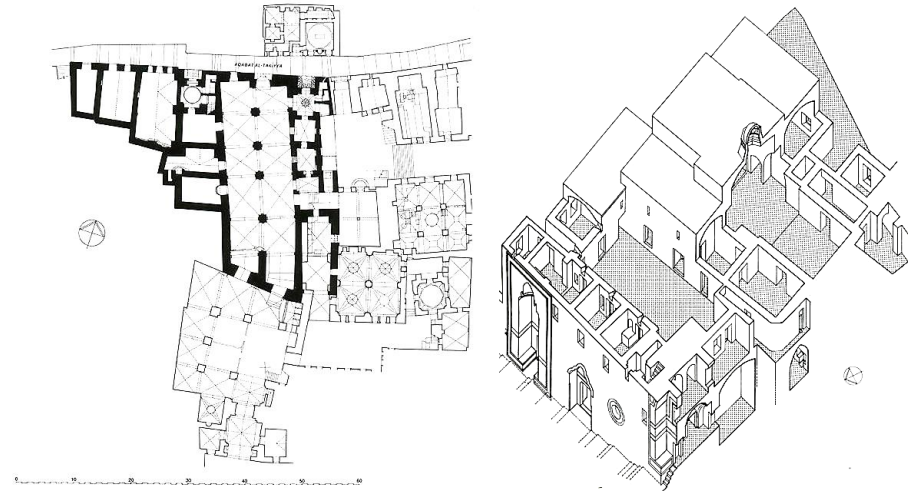

شكل ومخطط لقصر السيدة طنشق المظفرية

الهوامش

1 **أخرجه مسلم**، 1631.

2 أمين، محمد محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص1.

3 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص108-109؛ البرهاوي، رعد محمود أحمد، **خدمات الوقف الإسلامي وآثاره في نواحي الحياة**، دار الكتاب الثقافي، أربد، 2005، ص30.

4 ناظر الأحباس: الناظر في أرزاق الجوامع، والمساجد، والأربطة، والزوايا، والمدارس من الأرض المفردة لذلك، دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990، ص152.

5 الرزق الأحباسية: الرزق جمع رزقة، وهي الأطيان (الأرض) التي يعطيها السلاطين بمقتضى حجم شرعية أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الناس على سبيل الإحسان، وهي معفاة من الضرائب وتستثنى من التوزيع الإقطاعي . دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية**، ص82؛ أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص108-109؛ المقريزي، تقي الدين ابو العباس، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار** المعروف بخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ج3، ص267؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** في ملوك مصر والقاهرة، ج10، ص101.

6 نائب السلطنة: كانت الدولة المملوكية تقسم لمجموعة من الأقاليم، كل منها يسمى مملكة، ولذلك كانت تسمى في مجموعها بالممالك الإسلامية، وقد قسمت الشام إلى ممالك (نيابات) وكان الذين يعينون في هذه النيابات يعرفون بنواب السلطنة؛ البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص344.

7 الدوادار: هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ويتولى أمرها مع ما ينظم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك؛ دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية**، ص77.

8 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص111؛ البرهاوي، **خدمات الوقف**، ص30.

9 الزحيلي، وهبة، **الوصايا والوقف** في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1998، ص140؛ سيد سابق، **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977، ج3، ص515.

10 ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج11، ص165؛ أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص113؛ الكبيسي، محمد: **أحكام الوقف** في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977، ج1، ص38.

11 الزحيلي، **الوصايا والوقف**، ص160-161؛ عطية، أبي عبد الرحمن محمد، **المختصر النفيس في أحكام الوقف والتحبيس**، دار ابن حزم، بيروت، 1995، ص27-28.

12 الشربيني، البيومي اسماعيل، **مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ج2، ص10.

13 أمين، **الأوقاف الاجتماعية** ، ص116.

14 المرجع السابق، ص70.

15 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1981، ص549.

16 أمين، محمد، **ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك**، ضمن كتاب واقع الوقف عبر التاريخ، مؤتمر الأوقاف الأول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ص243-244؛ العسلي، كامل، **الأوقاف والتعليم في القدس** ضمن كتاب الحضارة الإسلامية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، 1987، ج3، ص124.

17 المقريزي، ، تقي الدين ابو العباس، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956، ج1،ق2، ص445؛ عاشور، سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت. ص356.

18 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، 85؛ العسلي، **الأوقاف**، ص124.

19 المواريث الحشرية: هي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو البقاء بعد الفرض من مال من يموت، وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له، القلقشندي، ابو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة، لتأليف والترجمة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. م، د.ت. ج3، ص470.

20 أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، 90.

21 العليمي الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مكتبة المحتسب، عمان، 1973، ج2، ص33؛ العسلي، كامل، **المدارس ومعاهد العلم والعلماء في فلسطين**، ، ضمن كتاب الصراع الاسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، تحقيق: هادية الدجاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1994، ص511؛ شهاب، علي منصور نصر، **الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري في ضوء كتابة الدرر الكامنة لابن الحجر** ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 22/169، 2000-2001، ص15؛ أمين ،**الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص235.

22 الناصر محمد بن قلاوون (684-741هـ/1285-1341م): من كبار سلاطين الدولة المملوكية، له أثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، وكان ملكا عظيما دانت له العباد و ملوك الأطراف بطاعة، توفيه بالقاهرة ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين. انظر: الكتبي، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت. ج4، ص35؛ ابن حجر العسقلاني، شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت. ج4، ص261؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوافيات**، تحقيق عدد من الباحثين، بيروت، 1962-1992،ج4، ص353؛ الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج7، ص11.

23 شهاب، **الحياة العلمية في القدس**، ص15؛ العسلي، **المدارس والمعاهد والعلماء في فلسطين**، ص511.

24 عاشور، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**، ضمن كتاب المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، 1983، ص99.

25 بدوي، أحمد، **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية**، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت. ص30؛ علي، سعيد أسماعيل، **معاهد التربية الاسلامية**، دار الثقافة، القاهرة، 1986، ص128-129؛ منى علي وسحر عبدالرحمان الصديقي، **الوقف ودوره في الحياة العلمية والتعليمية في العالم الاسلامي**، مجلة الثقافة والتنمية، عدد 3، يوليو 2001، ص167.

26 أمين، **الاوقاف والحياة الاجتماعية**، ص235-236.

27 السيد، علي، **القدس في العصر المملوكي**، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1986، ص122؛ عثامنة، خليل، **فلسطين في خمسة قرون من الفتح الاسلامي حتى الغزو الفرنجي (634-1099م)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2006، ص317-318.

28 غوانمة، **القدس الشريف**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص223؛ العسلي، **المدارس ومعاهد العلم والعلماء في فلسطين**، ص512.

29 العسلي، **الاوقاف والتعليم في القدس**، ج3، ص123.

30 أمين، **الاوقاف والحياة الاجتماعية**، ص240.

31 حجي، حياة ناصر، **صور من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك**، دار القلم، الكويت، 1992، ص15.

32 العسلي، **الاوقاف والتعليم في القدس**، ص123.

33 أمين، **الاوقاف والحياة الاجتماعية**، ص242؛ العسلي، **الاوقاف والتعليم في القدس**، ص130.

34 النباهين، علي سالم، **نظام التربية الاسلامية في عصر دولة المماليك**، دار الفكر، 1981، ص391-392؛ علي، معاهد التربية الاسلامية، ص323؛ أمين، **الاوقاف والحياة الاجتماعية**، ص242.

35 ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكتاني، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة **برحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1964، ص248.

36 أمين، **الأوقاف الاجتماعية**، ص240؛ العسلي، **المدارس والمعاهد والعلماء في فلسطين**، ص250.

37 ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ج14، ص228؛ السباعي، مصطفى **من روائع حضارتنا**، دار الوراق، بيروت، 1999، ص146.

38 النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ج23، ص341.

39 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص364؛ العسلي، **الأوقاف**، ص95.

40 العسلي، **معاهد العلم**، ص127.

41 السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، **معيد النعم ومبيد النقم**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986، ص153؛ عبد المهدي، **الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي**، مكتبة الأقصى، عمان، 1980، ص116.

42 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص221.

43 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2،ص49؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ج6، ص124؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص116.

44 الدوادارية: هو تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد ويسمى من يقوم الدوادار. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص19.

45 قرية بيت نبالا: تقع في الشمال الشرقي من اللد على مسيرة نحو 11كم عنها، ترتفع 100م عن سطح البحر ومساحتها 123 دونما. الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، دار الهدى، كفر قرع، 2002-2003، ج4، ص536.

46 طبرس: خربة تقع في أراضي قرية كفر راعي من أعمال جنين، الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج9، ق2، ص263.

47 العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، القدس، 1961، ص242؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص241؛ غوشه، محمد هاشم، **الأوقاف الإسلامية في القدس من خلال النقوش الحجرية**، بحث غير منشور المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، ص13؛ عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي**، مكتبة الأقصى، عمان، 1980، ص5-6.

48 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص39؛ غوانمة، **القدس الشريف**، ص242.

49 العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأبصار**، تحقيق: أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924، ج1، ص158؛ عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس**، ج2، ص8.

50 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص35؛ العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، مطبعة التوفيق، عمان، 1983، ج1، ص109.

51 كرد علي، **خطط**، ج6، ص117؛ الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج9، ص271.

52 النعيمي، الدارسي في تاريخ المدارس، ج1، ص277؛ العسلي، **الأوقاف في بيت المقدس**، ص879.

53 **سجل، 83 (1010هـ/1601م)**، ص134، مركز أحياء التراث بيت المقدس؛ **سجل 92**،(**1020هـ/ 1611م**)، ص39؛ صالحية، محمد عيسى، **سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر تاريخه 970هـ/1562م**، عمان، 2002، ص92-94؛ العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ص105.

54 المدرسة الأرغوانية: تقع هذه المدرسة عند باب الحديد، غربي المسجد الأقصى على يمين الداخل إلى ساحة المسجد وتجاه المدرسة الجوهرية، وتنسب الأرعونية إلى واقفها أرغون الصغير الكاملي. العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص36؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء الامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج7، ص17.

55 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص36؛ كرد علي، **خطط**، 6ج، ص118؛ الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج9، ص275.

56 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص38؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص221.

57 العسلي، **معاهد العلم**، ص265؛ الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج1، ص282.

58 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص40؛ كرد علي، **خطط**، ج6، ص120.

59 السخاوي، **الضوء الامع**، ج2، ص316؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص266.

60 كوتاهية: مدينة تقع إلى الشمال الشرقي من قونية، القزويني، حمد الله بن ابي بكر، **نزهة القلوب**، انتشارات حديث أمروز، ايران، 1381هـ، ص151.

61 العسلي، **معاهد العلم**، ص266؛ **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، بيروت، 1990، فصل6، ص616.

62 العسلي، **معاهد العلم**، ص266؛ العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص251.

63 الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج9، ص282.

64 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص414؛ بدران، **منادمة الأطلال**،ج1، ص272.

65 العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص256.

66 القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج11، ص370؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص179؛ السيد، **تاريخ عرب الشام**، ص182.

67 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص43؛ أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص118.

68 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص420.

69 السبكي، **معيد النعم**، ص125؛ عبد المهدي، **الحركة الفكرية في بيت المقدس**، ص78.

70 المقريزي، **السلوك**، ج2، ص216؛ الحجي، حياة ناصر، **السلطان محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده**، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983، ص127.

71 المقريزي، **السلوك**، ج2، ص261؛ الحجي، **السلطان**، ص127.

72 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص34؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص339.

73 السخاوي، **الضوء اللامع**، ج2، ص173؛ النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، ص431.

74 ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1969، ج4، ص142؛ غوانمة، ، يوسف حسن، **نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**، دار الحياة، عمان، 1982، ص175.

75 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص428.

76 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص435؛ الاصطخري، **مسالك**، ص295؛ ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص325.

77 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص91.

78 العسلي، **معاهد العلم**، ص315؛ غوانمة، **نيابة بيت المقدس**،ص176.

79 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص91؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص318.

80 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص43؛ كرد علي، **خطط**، ج6، ص149؛ **شراب**، محمد محمد، **معجم بلدان فلسطين**– القدس، دار المأمون للتراث، دمشق، 1987، ص228.

81 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج2، ص421، حطيط، أحمد، **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري**، الفرات للنشر والتوزيع، 2003، ص223؛ النباهين، علي سالم، **تاريخ الفكر التربوي من العصور القديمة إلى العصور الحديثة**، مطابع منصور، غزة، 1996، ص420.

82 العسلي، **معاهد العلم**، ص345.

83 كرد علي، **خطط**، ج2، ص149؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص345.

84 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص37.

85 العسلي، **معاهد العلم**، ص347.

86 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص45-256؛ كرد علي، **خطط**، ج6، ص149؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص348.

87 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص23؛ كرد علي، **خطط**، ج6، ص150؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص358.

88 ابن شداد، عز الدين بن محمد بن علي، **تاريخ الملك الظاهر**، اعتناء: أحمد حطيط، فرانز شتاينر، فيسبادن، 1983، ص350؛ أبو دية، عدنان، **الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة القدس، القدس، 2000، ص34.

89 عبد المهدي، **الحركة الفكرية**، ص260.

90 السيد، **القدس في العصر المملوكي**، ص168.

91 النباهين، **نظام التربية الإسلامية**، ص276.

92 المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج1، ص458؛ أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص255.

93 حمادة، محمد ماهر، **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص160.

94 أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج2، ص39؛ المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج1، ص458.

95 شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية**، ، نظمها، فلسفتها، تاريخها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980، ص156.

96 المقريزي، **السلوك**، ج1، ص458؛ ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي**، : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996، ص33؛ فراج، سمير، **دولة المماليك**، مركز الراية للنشر والإعلام، 2006، ص140.

97 السباعي، **من روائع حضارتنا**، ص122.

98 ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12، ص313؛ الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المكتب التجاري، بيروت، د.ت. ج4، ص340؛ أمين، **نظام التعليم**، ص164.

99 السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، **الأنساب**، ج2، ص307؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج14،ص94.

100 ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج12، ص286؛ أمين، **نظام التعليم**،ص166؛ فراج، **دولة المماليك**، ص140.

101 المقدسي، شهاب الدين، أبي محمود، **مثير الغرام لزيارة القدس والشام**، دار الجيل، بيروت، 1994.

102 العسلي، **المكتبات الفلسطينية منذ الفتح الاسلامي حتى سنة 1985**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، بيروت، 1990، ج3، ص287؛ أبو خلف ، مروان، **المتحف الإسلامي– الحرم الشريف– القدس، تاريخه ومحتوياته**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، 1983، ج1، ص306-307.

103 العليمي، **الانس الجليل**، ج2، ص96؛ أبو خلف، **المتحف الإسلامي**، ص308.

104 السخاوي، **الضوء اللامع**، ج6، ص301؛ عبد المهدي، **الحركة الفكرية**، ص269؛ العسلي، **المكتبات الفلسطينية**، ص287.

105 العسلي، **معاهد العلم**، ص372؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج6، ص301.

106 العسلي، **المكتبات الفلسطينية**، ص287؛ عاشور، **بعض أضواء جديدة**، ص98.

107 ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة**، ص33.

108 العليمي، **الانس الجليل**، ج1، ص339؛ عبد المهدي، **الحركة الفكرية**، ص269، العسلي، **المكتبات الفلسطينية**، ص287.

109 السيد، علي، **مكتبات بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك**، مجلة التربية، جامعة قطر، عدد 118، 1996، ص163.

110 ناصر، جلال أسعد، **عمائر السلطان قايتباي بالقدس**، رسالة ماجستر، جامعة القاهرة، 1974، ص80؛ العسلي، **معاهد العلم**، ص168-169؛ عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي**، مكتبة الأقصى، عمان، 1980، ص160.

111 السيد، **القدس في العصر المملوكي**، ص126، العسلي، **المدارس ومعاهد العلم**، ص511.

112 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص38؛ وهي اليوم تقع بين باب حطة والعتم في سور الشمالي للمسجد الأقصى، وهي مستخدمة اليوم سكناً لإحدى العائلات المقدسية.

113 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص36، وهي تقع بين باب القطانين وباب الحديد، ويوجد فيها قبور عدد من أعيان بيت المقدس، منهم المجاهد عبد القادر الحسيني وعمه موسى كاظم باشا.

114 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص42، تقع اليوم خارج اسوار المسجد الأقصى المبارك، وتستخدم سكناً لإحدى العائلات المقدسية.

115 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص42، والمدرسة موجودة اليوم في المسجد الأقصى المبارك وبالتحديد في الناحية الشمالية الشرقية من المسجد وتشكل جزءاً من السور الشمالي للمسجد وتقع غرب مئذنة باب الأسباط بينها وبين باب حطة أحد أبوب المسجد الأقصى، ويشار إلى أنها خربت وسقط سقفها وأغلب بنائها، وتم مؤخراً ترميم واجهتها الأمامية الواقعة داخل المسجد الأقصى ولكنها لا تزال دون سقف.

116 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص36، وهي تقع اليوم على يمين الخارج من باب المطهرة أحد أبواب المسجد الأقصى المبارك في الناحية الغربية، مقابل الرباط الزمني، ولا تصل إليها إلا من داخل المسجد الأقصى، من خلال باب المطهرة، وتستخدم اليوم سكناً لإحدى العائلات المقدسية.

117 السخاوي، **الضوء اللامع**، ج7، ص120؛ الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج6، ص208، كحالة، عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة ، دمشق، 1977،ج 2، ص159.

118 العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص184؛ العليمي، **الإنس الجليل**، ج2، ص57.

119 العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص54، كحالة، **أعلام النساء**، ج2، ص87؛ السخاوي، **الضوء اللامع**،ج12، ص128-129.

120 نجم، رائف يوسف، **كنوز القدس**، مؤسسة آل البيت، عمان، 1983، ص84؛ العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص145.

121 الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج6، ص56؛ كحالة، **أعلام النساء**، ج2، ص51-52.

122 **سجلات المحكمة الشرعية، دفتر الطابو: 2 و 6**، مركز أحياء تراث بيت المقدس، ابو ديس؛ العليمي، **الأنس الجليل**، ج2، ص85.

123 العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**، ص215.